

الفقه والمسائل الطبية

أقول: أما قولهم: " إن الأبحاث العلمية المبتنية على الحس والتجربة لم تطفر في سيرها الدقيق بالروح ولا وجدت حكماً من الأحكام غير قابل التعليل إلا " بها " فهو كلام حق لا ريب فيه لكنه لا ينتج انتفاء النفس المجردة التي اقيم البرهان على وجودها، فإن العلوم الطبيعية الباحثة عن أحكام الطبيعة وخواص المادة إنما تقدر على تحصيل خواص موضوعها الذي هو المادة وإثبات ما هو من نسخها، وكذا الخواص والآدوات المادية التي نستعملها لتتميم التجارب المادية إنما لها أن تحكم في الآمور المادية، وأما ما وراء المادة والطبيعة فليس لها أن تحكم فيها نفيًا ولا إثباتًا، وغاية ما يشعر البحث المادي به هو عدم الوجدان، وعدم الوجدان غير عدم الوجود، وليس من شأنه كما عرفت أن يجد ما بين المادة التي هي موضوعها ولا بين أحكام المادة وخواصها التي هي نتائج بحثها أمراً مجرداً خارجاً عن نسخ المادة وحكم الطبيعة. والذي جراًهم على هذا النفي زعمهم أن المثبتين لهذه النفس المجردة إنما أثبتوها لعثورهم إلى أحكام حيوية من وظائف الأعضاء ولم يقدرُوا على تعليلها العلمي، فأثبتوا النفس المجردة لتكون موضوعاً مبدئاً لهذه الأفاعيل، فلما حصل العلم اليوم على عللها الطبيعية لم يبق وجهٌ للقول بها. ونظير هذا الزعم ما زعموه في باب إثبات الصانع. وهو اشتباه فاسد، فإن المثبتين لوجود هذه النفس لم يثبتوها لذلك ولم يسندوا بعض الأفاعيل البدنية إلى البدن فيما عدا ظاهرة وبعضها إلى النفس فيما عدا مجهولة، بل أسندوا الجميع إلى العلل البدنية بلا واسطة وإلى النفس بواسطتها، وإنما أسندوا إلى النفس ما لا يمكن إسناده إلى البدن ألبتة، وهو علم الإنسان بنفسه ومشاهدته ذاته كما مر.